المحاضرة الرابعة

من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

ما من نبي بعثه الله عز وجل إلاّ وأعطاه الله تعالى من المعجزات ما يستطيع أن يتيقن الناس بها صدق دعوته، بحيث يسلم له الناس القيادة، ويطيعونه بما يأمرهم به، وحتى يثقوا بأنه يسير بهم نحو طريق الفلاح .

ولما كان الرسل السابقون قد بعثوا إلى أممهم خاصة ولمدة محدودة، فقد كانت المعجزات كذلك تصلح لإقناع الحاضرين من تلك الأمم، ولا بقاء لها لزمن قادم.

فمثلاً لو جاء رجل من أتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى قوم ملحدين وقال: آمنوا بإبراهيم أنه رسول الله فوالله أنه قد أوقعوه في النار وما أحرقته، فسيقول له الملحدون: هيا، قع في النار، فإن لم تحترق آمنا بك ... فهل يستطيع أن يقع ليبرهن على صدقه ... وصدق نبيه .... اللهم لا، رغم أنه صادق.

ولو جاء رجل فقال: آمنوا بموسى –عليه السلام– فوالله إنه قد حوّل بقدرة الله العصا إلى حية حقيقية تأكل بقية الحيّات .... وبأمر الله ضرب البحر بالعصا، فانفلق إلى فلقتين ... فيُقال له:اختر العصا التي تريد، واضرب البحر الذي تراه مناسباً، فإن انفلق وقطعت إلى آخره صدقناك ... ولكنه لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً.

ولو جاء رجل فقال:إن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله ..... فسيقال له هذه هي المقابر أمامك، فإن استطعت أن تحيي ميتاً واحداً ..... أمنا بك فإنه لن يستطيع أن يفعل ذلك ([1]).

ولكن لو أتى واحد من المسلمين وقال: أيها الناس، إن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو رسول الله حقاً وصدقاً، فان قالوا ما هو برهانك على ذلك؟ فيقول هذا كتاب الله تعالى يتلى إلى يوم القيامة، أعجز كل البشر عن يأتوا بمثله، وهاهو أمامكم يتحداكم أن تأتوا بمثله، فإنه يكون بذلك قد أتى بمعجزة مشاهدة ملموسة لا تتحدث عن إعجاز الماضين فقط، بل تتحدث عن إعجاز مستمر باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا هو <u>الوجه الأول</u> من أوجه الإعجاز للقرآن الكريم .

---

[1] يحكى أن أحدهم أتى إلى عائلة فقيرة وعرض عليهم مبلغاً من المال مقابل أن تصيح المرأة على زوجها بأنه مات، وأن يوافق هذا الزوج على التمثيل، ثم تنتهي المسرحية بأن يأتي صاحب المال ويقول له: قم فيقوم فيقول الناس: أن فلاناً قد أحيي الأموات كعيسى عليه السلام، لكن يا للأسف، فإن الزوج لم يستطع أن يكمل دور التمثيل لأنه قد مات حقاً، وهذا ما سنوضحه بإذنه تعالى في محاضرات لاحقة مع محاضرة أخرى هي: الفرق بين المعجزة والسحر والاستدراج والكرامة ....الخ، وهي في كتابي خمس حقائق إيمانية. .....وعلاقتنا بكل الأنبياء والمرسلين علاقة ود واحترام ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾، واقرأ إن شئت أيضاً كتابي قرأت القرآن والإنجيل فأسلمت.

أما الوجه الثاني: فحين كان الناس يشتهرون بالسحر في أيام موسى عليه السلام، فقد اختار الله أن يبعث لهم معجزة حقيقية لا كاذبة – كما يفعلون– تتحداهم بأمهر ما كانوا يتقنونه، فغلبهم موسى عليه السلام، حيث دمر السحر الكاذب ....بالحق الأبلج.

وفي زمن عيسى عليه السلام حيث بلغ الطب شأناً عظيماً فقد اختار الله عز وجل أن تكون المعجزة بحيث لا يستطيع أحد أن يرفع رأسه أمامها وهي: إبراء الأصم والأبكم – الذي ولد لا يسمع أصلاً، ولا يتكلم أبداً– وكذلك إحياء الموتى بإذن الله تعالى.

وأما العرب فقد كانت صنعة الكلام وحسن أدائه وترتيبه وحسن صياغته مع السلامة من العيوب والانتقاد قد بلغت أوجها، فقد بلغت البلاغة والفصاحة فيهم شأناً عظيماً؛ بحيث أنشئوا له سوقاً عظيماً كسوق عكاظ، كانوا يعرضون فيه أحسن قصائدهم، بحيث بلغ الأمر بأن تعلّق أحسن القصائد على الكعبة المشرفة، حيث بلغت المعلقات التي حفظها لنا التاريخ عشر قصائد مشهورة عدا غيرها .

وتكون القبيلة رافعة الرأس عزيزة الجانب، حتى إذا هاجمها شاعر ذلت تلك القبيلة، حتى يأتي شاعرها يرد عنها ذلك الذل بقصيدة أحسن منها ([2])، فأن لم يكن عندهم شاعر استأجروا بحرِّ مالهم شاعراً يرد عنهم، حتى استغنى الشعراء بشعرهم عن العمل في مجال آخر، في تلك الحال جاء القرآن يتحداهم بأن يأتوا بمثله، فما استطاعوا لذلك سبيلاً.

أما الوجه الثالث: فإنه تحداهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فما قدروا، ثم أحرجهم حين تحداهم أن يأتوا ولو بسورة واحدة طالت أم قصرت، فلم يرفعوا بذلك رأساً.

ثم جاء القرآن يتحدى الإنس والجن الحاضرين والمستقبلين فرادى ومجتمعين بقوله تعالى:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:23) هكذا ولن تفعلوا ...

ترى هل لو قلنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد عرف الحاضرين في الحضر والبوادي والقفار وتحداهم؛ فهل يستطيع أحد أن يتحدى الأجيال القادمة جيلاً بعد جيل؟ وهل رأيت أحدا تحدى العالم بسيارة أو طيارة أو صاروخ أو فكرة أو دواء أو اختراع بأن أحداً لا يستطيع أن يأتي بمثل ما أتى به إلى يوم القيامة؟! اللهم لا.

وهذا إعجاز من وجه رابع .

---

[2] كانت هناك قبيلة يفتخر شبابها بلياقتهم البدنية حتى هجاهم الشاعر بقوله:

لا بأس بالقوم من طول ومن سمن: جسم الجمال وأحلام العصافير

فما افتخروا بذلك بعد .

ثم لما خيروا بين القتال وبين أن يأتوا بمثله، فقد اختاروا القتال، فهل يختار أحد القتال على الكلام لو كان باستطاعته أن يأتي بمثل القرآن؟ اللهم لا، فإن القتال بحاجة إلى كلام لجمع الناس، وكلام لإفهام الناس بضرورة القتال، وكلام لدفع الناس إلى الاقتحام والموت، عدا عن حاجته للمال والتعب والسفر والتدريب .... الخ، فلو كانوا قادرين على الآتيان بمثل القرآن لما اختاروا على ذلك إنفاق أموالهم ونهب أسلابهم وسفك دمائهم وقتل أولادهم، وهذا وجه خامس للإعجاز .

الوجه السادس من وجوه الإعجاز في هذا القرآن الكريم هو الطازجية (أن صح التعبير): فلو أهديت إنسانا جريدة الأمس لازدراها وقال لك: إنه قد فات وقتها، أما القرآن الكريم، فأنك حين تقرأه تجد وكأنك تقرأ كتاباً أنزل إليك شخصياً، وكأنك تراه يتحدث عما يدور من حولك اليوم، انظر إلى قوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل:112)

فانظر من حولك تجد هذه الآية تطبق اليوم هنا كما طبقت في الأمس هناك، وستطبق غداً وبعد غد على من تنطبق عليه تلك المواصفات.

وأذكر أني عندما كنت في ريعان الشباب سمعت أحد الأشخاص يتحدث عن بلد بأنها بلد السلام وأنها سويسرا العرب، وأنه لا خصام فيها ولا قتال، وأن الحرية تأخذ مجراها بلا حدود، ثم وصفها الآخر بأنها بلد النساء والتفاح والخمر .. وبعد أن أخذوا شوطاً من الكلام ليس بالقصير قلت لهم:

إن كان الأمر كما تقولون: من خمر وفسق ومجون، فلا بد أن يأتيها أمر الله تعالى فتصبح خراباً .. ولكن الجميع عارضوا كلامي بكل إصرار، فما كان مني إلا أن ذكرت لهم هذه الآية الكريمة، فتراجع البعض، وسكت البعض، ولكن بعضهم أصر على أنها بلد لا يمكن أن يحدث فيها حرب ولا قتال. وانتهى الحديث بالوداع وكل واحد معجب برأيه مقتنع بما عنده. وما هي إلاّ سنوات: وإذا بالآية تنطبق على ذلك البلد المسلم الحبيب فيستمر فيها الصراع بما زاد عن عشرين سنة.

وانظر معي إلى كلمة " لباس" أن الجوع والخوف كان يغشاهم، ويحيط بهم كما هو شأن الثوب الذي يلبسه الإنسان فيكون " مكسّما" على جسمه، وما كادت الحرب تخمد فيها إلا بعد أن اشتعلت في أكثر من بلد أخرى ممن انطبق عليهم قانون الآية من جديد.

الوجه السابع: من وجوه الإعجاز: هو عدم الخلق على كثرة الرد فكلما قرأت القرآن زادت عندك المعاني مرة بعد مرة، فلقد فسرت سورة يوسف عليه السلام على المنبر في أكثر من 11 إحدى عشرة خطبة، وكنت أظن أني قد أتيت على معظم معانيها،

ولكني عندما فتحت المذياع على إذاعة القرآن الكريم وجدت داعية من دعاة الإسلام يقول ما معناه: إن شخصيات هذه القصة قد جمعت بين الحضر والسفر، والقرى والمدن، وبين الرجال والنساء، والصبيان والعبيد، وبين التجار والملوك والفقراء وأهل القصور، وبين قمة الصدق والخلق وبين أهل المكر والخديعة والغدر حتى بالإخوان والكذب حتى على الأباء .. الخ.

تلك المحاضرة التي سمعت فيها ما لم أكن أفكر فيه، ثم سمعت فضيلة الداعية الشيخ محمد متولي شعراوي يتحدث عن شيء لا في هذا ولا ذاك.

ولا تنسى صاحب الظلال كم سار في ظلالها الوارفة. ثم دخلت إلى مسجد لصلاة الجمعة، فإذا بالخطيب يتحدث عن نفس السورة لكن بأسلوب آخر .. وهذا سر لا تجده في أي كتاب آخر مهما كان.

<u>الوجه الثامن</u>: إنه ما من كتاب عادي يحوي أكثر من 5-10% من جذور اللغة التي يتحدث بها، مهما بلغ حجم ذلك الكتاب، ولكن القرآن الكريم وعلى صغر حجمه نسبياً فإنّه يحتوي على 34% من جذور اللغة العربية، وهذه النسبة بحد ذاتها لها إعجازها ..

فلو قارنا هذه النسبة بما يسمى " الكتاب المقدس" الذي مساحة الكلام فيه تعادل عشرة أضعاف مساحة القرآن الكريم فإننا لا نجد فيه سوى 5% من جذور اللغة العربية. (ولزيادة للمعلومات اقرأ كتاب وجوه من الإعجاز القرآني)لأخينا الدكتور مصطفى الدباغ.

<u>الوجه التاسع</u>: عندما يتحدث القرآن الكريم عن حقيقة ما، فأنه ومهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال وتقدم العلم، فإنه لا يمكن أن يأتي ما يتناقض مع تلك الحقيقة فمثلاً قال تعالى: (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً) (الإسراء:85) كان هذا الكلام صالحا بوضوح لزمن أبي جهل وأبي لهب، عندما كانوا يركبون على الدواب ولا يعرفون الكهرباء ولا الذرة ولا الكمبيوتر ولا الهاتف ولا المدن الطبية .. ولكن هذا الكلام لا يزال يتحدانا يوماً بعد يوم وبشكل أوضح لزماننا هذا.

هذا الزمان الذي ندعي فيه إننا في قمة العطاء والسيطرة على ما في هذا الكون .. وهيهات .. فإننا لا نزال كلما اكتشفنا مجهولاً ظهرت لنا من ورائه عشرات الأسئلة التي تزيدنا معرفة بجهلنا ... وخاصة عن الروح التي تحدانا الله بها.

<u>الوجه العاشر</u>:

من وجوه الإعجاز القرآني هو الكمال، فما من مسلم يريد أن يبحث أي موضوع دنيوي أو أخروي مادي أو معنوي علمي أو أدبي أو خلقي أو تعاوني أو قضائي أو جزائي، إلا ويستشهد بآية قرآنية أو حديث نبوي، وحتى للمشاكل التي لم تحدث إلا في القرن العشرين.

فمثلاً لما حدث ما يسمى بانخرام طبقة الأوزون قام الخطيب ليقول: قال الله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾- (الروم 41).

وعندما عقد مؤتمر لبحث فساد الأطعمة خاصة تغذية الدجاج بالفضلات، قام أحد المسلمين ليقول: أن هذا الموضوع موجود عند علماء المسلمين القدماء تحت عنوان " الدابة الجلالة" واستشهد بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالأَنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (لأعراف:157) ،

ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن الدواب { كلوها صالحة واستعملوها صالحة)([3]) وبموضوع الذكاة في الفقه الإسلامي والذي يعني الطيب المذبوح " المذكى "

وأريد أن أوضح هذا المفهوم فأقول لو أمسك أحدنا بكتاب رياض الصالحين، أو بأصغر كتب الفقه ككتاب " متن أبي شجاع " وطالع فقط الفهرست الموجود في آخره لتعجب من كثرة المواضيع التي تطرق لها هذان الكتابان، ولشمول هذه المواضيع لأمس حاجات الإنسان في أمور الدنيا والآخرة.

<u>الوجه الحادي عشر</u>: إن كل إنسان أو كاتب أو شاعر أو مؤلف له طريقته الخاصة وأسلوبه المتميز، وأن النقاد الحاذقين يستطيعون أن يعرفوا الكاتب، دون أن يكتب اسمه، وذلك من أسلوبه ..

والآن لو جئنا إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية الشريفة وعرضناهما على النقاد والأدباء لجزموا جميعاً بأن هذا الأسلوب غير هذا، فبرغم أن الله قد أعطى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) جوامع الكلم، إلا أن أسلوب الحديث هو غير أسلوب

---

[3] مر على باب المسجد فإذا بعير مناخ فقال أين صاحب هذا البعير فابتغي فلم يوجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(اتقوا الله عز وجل في هذه البهائم كلوها سمانا واركبوها صحاحا) الآحاد والمثاني ج: 4 ص: 104

القرآن رغم أنهما خرجا من فم النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهل رأيت كاتباً واحداً لـــه قلبان وفكران وذوقان وأسلوبان للعرض؟ اللهم لا ...

الوجه الثاني عشر: أن كثيراً من الكتَّاب يحب أن يكون له كتاب جيد يمدحه الناس منسوب إليه، يروق في أعين الناس، "حتى أن بعضهم يلجأ إلى سرقة الكتـــب والفكـــر من الآخرين"، أما محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد جاء بكتاب رائع للغاية، فلو كان من عنده فلماذا يخجل به، ولو كانت أفكار هذا الكتاب من عنده، فإنه سينال مدحاً عظيمـــاً، فلماذا ينفيه عن نفسه وينسبه إلى الله تعالى؟ ولو كان الأمر كذلك فلماذا لا يقول محمـــد (صلى الله عليه وسلم) أنا مصلح ولست نبياً ... وأنا أتيكم بأفكار من عندي فـــأطيعوني إن أردتم وإلا فاذهبوا إلى الجحيم.

الوجه الثالث عشر: لم نر مصلحاً واحداً ولا عبقريـــاً نـــادراً ولا صـــاحب نظريـــة رياضية أو مخترع آلة .. دعا إلى فكرته يوماً ما .. ثم حارب أو هاجر من أجلها....

أما الأنبياء عليهم السلام، فإنهم جميعاً قد قدموا التضحيات وهـــاجروا وجاهـــدوا في الله حق جهاده ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مما يدل على أنهم تحققـــوا بأنّ هناك حياة أخرى أمروا أن يعملوا لأجلها، لكي تتحقق لهم السعادة هناك، فلـــو لـــم يتيقنوا بها هم شخصياً قبل غيرهم لمّا ضحوا بالدنيا من أجلها.

والمثل يقول: عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة، ولكن عاقلاً واحـــداً لم يقل عصفور في اليد خير من عشرة في القفص، وبما أن الأنبياء تأكدوا مـــن أنهـــم أنبياء وأن الله تعالى يخاطبهم بواسطة جبريل حقاً، وبأنّ الجنة والنار لا شك فيها فقـــد استعذبوا الصعاب رجاء إرضاء رب الأرباب عز وجل.

(قصة): بعض الصحابة الكرام أصيب بسهم في ظهره طار من صـــدوره، فأخـــذ الدم ونضحه على جهة وقال: فزت ورب الكعبة. وبعد انتهاء المعركة سأل القاتل الناس قائلاً: إنه عرف أنه سيموت حقاً، فبماذا فاز؟! قالوا له:

إنه فاز بالجنة، فيتقن القاتل من صدق المقتول فأسلم.

الوجه الرابع عشر: معجزة التربية الإسلامية وهي محاضرتنا الماضية وكما يقول الإنجيل " من ثمارهم تعرفونهم " بينما تراجعت الشيوعية في أقل من قرن وعادت إلـــى الوراء، وهي التي وعدت أتباعها بجنة الدنيا، بينما محمد (صلى الله عليه وسلم) كـــان يقول لأصحابه تحت التعذيب والقتل:(صبراً آل ياسر فإنّ موعـــدكم الجنـــة) – (مســـند أحمد441) فما الذي جعلهم يصدقون فيصبرون.

الوجه الخامس عشر:أن كل مؤلف أو مخترع أو مبتدئ بعمل يقوم بعمله هـذا، فيأتي آخر فيتلاشى الأخطاء التي ارتكبها من قبله، ويضيف عليها تجاربه وثقافته الخاصة، بحيث يكون الإنتاج الجديد أحسن.

فمثلا: كيف كانت السيارة الأولى وكيف هي السيارات الحديثة بعدها . كيف كان أول مؤلف في أصول الفقه وكيف كانت المؤلفات من بعده، فلو كان القرآن كتابا غير معجز لكان الأولى بمن بعده أن يأتي بما هو أفضل ، ولكن هيهات ثم هيهات.

أقول قولي هذا والحمد لله رب العالمين

الأسئلة والمشاركات

س1: أغلبنا في هذا الأيام ليس عنده خبرة في البلاغة والفصاحة والبيان، فيكف يكون القرآن الكريم معجزة لنا؟

ج1:أولاً: كون أصحاب الاختصاص قد عجزوا عن أن يأتوا بمثله واستسلموا وفشلوا في الإتيان بمثله فعجزهم إعجازٌ لنا، وصمتهم على مر الدهور إعجازٌ لنا أيضاً.

ثانياً: لو راجعنا كتب التفسير التي تعتني بهذا الأمر لوجدناها ممتلئة بالأدلة التي تظهر وجوه الإعجاز والحكمة في ورود كلمة بدل أخرى.

ثالثا: هاهي محاضرات أمام هذا العصر في البلاغة تخبرنا اليقين (أعني بذلك محاضرات المرحوم الشيخ متولي شعراوي) فإن عجزنا فليس ذلك إن الإعجاز غير موجود .

رابعا: هناك في دول غير مسلمة أكثر من مائة جامعة تدرس اللغة العربية، و ألوفا من النصارى العرب، عدا عن الشيوعيين وأذنابهم العرب، ولا يزال القرآن يتحداهم ولا يزالون عاجزين. فلماذا لا يأتون بمثله؟؟

خامسا: بما أن القرآن الكريم هو معجزة هذا الدين، وبما أن هذا الدين باق إلى قيام الساعة فقد أودع الله تعالى فيه من المعجزات ما يصلح لكل زمان ومكان موجودة في القرآن الكريم منذ (15) خمسة عشر قرناً وسنعرض إليها في المحاضرة القادمة بإذن الله تعالى.

سادساً: كان سوق عكاظ يجتمع فيه الشعراء وتقوم فيه التجارة .... ويعلقون أحسن قصيده على الكعبه المشرفة،... وهكذا كانت المعلقات العشر – وفي الحقيقة هي أكثر – فلما جاء القرآن الكريم انبهر كل الشعراء وسكت كل البلغاء و إنخرم كل الخطباء.

مشاركة (1) تفضل مشكوراً:

كنا في مرحلة الدراسة المبكرة للشريعة الإسلامية فدخل إلينا شاب، وصرنا نسأله بكل سذاجة وبراءة: هل تصلي؟ هنا أحب هذا الشاب الجار أن يعلمنا الدعوة بالأسلوب المتمكن المتمرس ...وقال ... دعونا من أسئلتكم ولكن ماذا أنتم تدرسون؟

قلنا: الشريعة الإسلامية.

قال: أتدرسون القرآن الكريم؟ قلنا: طبعاً.

قال: كيف ترشدون بهذا القرآن غير العرب، وكيف سيحاسب الله تعالى غير العرب...

قلنا: يجب أن يفهم كل أعجمي اللغة العربية ثم يعرف أن هذا القرآن هو معجزة ثم يسلم، وإلا خلده الله في النار.

فأجاب مستغرباً ومستنكراً لهذا الجواب: لو كان أحدٌ منكم إنكليزيا أو صينياً فهل يفعل ذلك؟! وهنا أوقعنا في الحرج.

وقال: طالما أن ترجمة القرآن قد قلتم أنها ممنوعة ولا تجوز، وأن الأجنبي يجب أن يتعلم اللغة العربية وهذا مستحيل – إذ أن أقواماً لا يعرفون أن هناك عرباً- وآخرون يتكبرون على العرب وعلى لغتهم، وأن القرآن هو للناس جميعاً، فكيف سنبلغ الناس هذا الدين؟؟؟

صمتنا جميعاً ولكنه بدأ يحدثنا قائلاً:... يا شباب إن ثقافتنا محدودة ... واطلاعنا على الإسلام قليل ولكن وببساطة، أليس في القرآن الحث على الصدق والأمانة والعدل والإحسان، والوفاء ...!

أليس في الإسلام النهي عن الكذب والغش والنفاق والغدر .... والظلم والخيانة .أليس في الإسلام الأمر ببر الوالدين ... والإحسان إلى الأقارب والجيران والعطف على المساكين؟؟ أليس في الإسلام الرفق بالحيوان؟ .... الخ .. الخ .

يا شباب: إذا ترجمنا هذه المعاني إلى اللغات الأجنبية، فإن الناس ستحترم الإسلام وستبجل المسلمين، و إن بعض الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأخرى مثل (هذا الدين) و (المستقبل لهذا الدين) قد أسلم عليها ألوف من الأجانب ...

وبالفعل فقد كانت محاضرة قيمة طيبة للغاية لا تزال ترن في أذني كلماتها، وتشعرنا بسذاجة أغلب المسلمين، وعدم تدربهم على القيام بشؤون الدعوة.

وعندما كبرت عرفت أن محمداً صلى الله عليه وسلم قد حل هذه المشكلة عندما كان يرسل الرسل إلى الأقوام الأخرى فكان " السفير " الرسول إليهم يتعلم لغتهم

ويحدثهم بروؤوس أقلام عن الإسلام ... بل وأن المسلمين الأوائل ما كان يشرح لهم إلا مثل هذه الأشياء الأساسية من محاسن الإسلام، فلا يلبث أحدهم إلا أن يسلم .

س2: هل بالإمكان أن تعطينا مثالاً واحداً عن بلاغة القرآن الكريم؟

ج2: انظر معي إلى تلك الجارية التي كانت تغني فقال لها أحد المادحين: ما أبلغ كلامك، إنه مدحها بما تحب أن تمدح به في ذلك الزمان الذي كان يعتني بجمال البلاغة لا بجمال البلادة، فبماذا ردت عليه؟

قالت: وهل أبلغ من كلام الله كلام يا هذا ...؟

قال: وما أعجبك من كلام الله؟ قالت: قال تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (القصص:7)

قال: وما وجه البلاغة في ذلك؟!

قالت: (بعد أن عرفت أنه جاهل أحمق) يا هذا لقد جمع الله تعالى بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين في آية واحدة.

وأود أن أعطيك مثالاً واحداً على نقد الشعراء لبعضهم البعض، حتى تعرف أنهم لم يكونوا ليسكتوا عن محمد (صلى الله عليه وسلم) لو وجدوا عنده عيباً واحداً، فلقد قال حسان بن ثابت الذي أسلم رضي الله عنه:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجده دما

ولدنا بني العنقاء وابن محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابن ما

فانتقدته الخنساء بثماني مواضع:

1- فقد قلت الجفنات وهي من 3-9 ولو قلت الجفان لكان أكثر.

2- وقلت الغر وهي مقدمة الفرس، ولو قلت البيض لكان أوسع.

3- وقلت يلمعن واللمعان بريق يأتي ويروح، ولو قلت يشرقن لكان أدوم .

4-وقلت في الضحى، ولو قلت في العشى لكان أكرم، لأن الضيف في العشي أكثر طروقاً.

5-وقلت وأسيافنا وهي دون العشرة، ولو قلت سيوفنا لكانت أكثر.

6-وقلت يقطرن والقطر نقطة بعد نقطة، ولو قلت يجرين لكانت أبلغ.

7-وقلت دماً، ولو قلت دماءً لكان أكثر.

8-وافتخرت بما ولدت، ونسيت من ولدوك .

س3: حبذا لو شرحت لنا عن الإعجاز في سور الكوثر، إذ أنها أقصر سورة في المصحف الشريف، مكونة من ثلاثة آيات وكتابتها تأتي في سطر واحد؟

ج3: عرفنا في الجواب الماضي أن العرب كانوا يمدحون ولكن بدون مكيال، حتى قال بعضهم: أعذب الشعر أكذبه، ونحن هنا في سورة الكوثر نتحدث عن معجزة (الصدق والمصداقية) وهي الوجه:السادس عشر من أوجه الإعجاز:

فليس المهم أن نقول كلاماً لا نعرف مدى صحته ولا مقدار صدقه، بل أن كل كلمة في القرآن الكريم لها مدلولها الذي لا يمكن أن يخطئ أو يكون بغير موضعه، وإنني بحاجة إلى محاضرة كاملة لكن لا بأس بالاختصار. كان محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة تأتيه الأخطار من كل مكان وكذلك في المدينة، ومع ذلك يبتليه الله تعالى بموت ابنه، حتى يكون درسا للدعاة من بعد وليعرفوا حقا أن لله ما أعطى ولله ما أخذ ، ويطردوا عنهم الضجر ...

وحين توفي ولده الوحيد فرح أبا جهل وتهلّل وجه أبي لهب وكاد الكفرة أن يطيروا فرحاً وقال قائلهم (بُترَ محمد) أي قطع محمد وعندما يموت محمد فلن يبقى بعده أحد يشاكسنا، كما يُقال ((محمد مات وخلف بنات)) وقالوا في أنفسهم: لن يبقى لبنات محمد أخوة يدافعون عنهن .... الخ

وتأتي التعزية من رب العزة لرسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) بهذه الآية القصيرة جداً (كبرقيات العزاء إن صح التمثيل) ولكنها ليست كأي كلام يمر عبر الهواء بل هو حق كله وصدق كله ....

ولنلق نظرة سريعة على حال محمد (صلى الله عليه وسلم) وحال خصومه، فهو – فداه أبي وأمي – رجل ضعيف الحال، قليل المال، كثير العيال، قليل الرجال، حتى استكثروا عليه أن يرسل الله إليه فقالوا:﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف31

نعم هو أعظم مخلوق عند الله وعندنا نحن المسلمين، ولكنهم عاملوه على العظمة المادية، فرد الله عز وجل عليهم﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾(الزخرف: 32)

وقد أفهمهم سبحانه في أكثر من آية وقصة وحكمة أن العظمة ليست في كثرة المال أو الرجال فقال تعالى:﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه﴾(الأنعام: 124) فهم في الحقيقة لا يعترضون على الرسول، بل على اختيار المرسل جل وعلا وهذا كفر بحد ذاته.

وما هي إلا أيام وإذا بالمصطفي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم يهاجرون إلى المدينة وتقوم دولة الإسلام، ويقع انتصار بدر، وامتحان أحد، وصبر الخندق، وبعدها يدخل(صلى الله عليه وسلم) مكة فاتحاً ، فالذي تعهد لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بالنصر هو الذي يقدر على أن ينصره وهو سبحانه الذي لا يخلف الميعاد .

وفي معركة بدر يقتل أبو جهل ثم يلحقه الحاقد أبو لهب، ولكن الرسول ﷺ حبس فرس أبي جهل عنده حتى جاء يوم الفتح الأكبر – فتح مكة – وصار هناك (منع تجول) ما عدا اثنين بلال ينادي بأعظم النداء (الآذان) على أشرف مكان (الكعبة) بأعلى صوت الله أكبر الله أكبر ... و الثاني فرس أبي جهل تطارد هنا وهناك ولكن بغير فارس ...

هنا ثاب أهل مكة إلى رشدهم وقالوا: انظروا يا معشر قريش كيف أذلّ الله أبا جهل ففرسه تطارد بلا صاحب، وكيف أعز الله الإسلام والمسلمين، فها هو بلال الذي كان يعذب تحت الصخور كيف يصعد على كعبتكم رغم أنوفكم لينادي بلا إله إلا الله فأين هي أصنامكم، هذا أولاً.

ثانياً: أين ابنك يا أبا لهب الذي افتخرت به؟ أنه مات في الزرقاء – الأردن أكله الأسد الذي توعده به محمد(صلى الله عليه وسلم)([4]).

ثالثا : وأنت يا أبا جهل أين ابنك أنه عكرمة رضي الله عنه الذي تركك وأصنامك واتبع محمداً، ولو أجرينا معه مقابلة تقول: ما أريك بأبي جهل لقال: لعنه الله . ولو قلنا له ما رأيك بمحمد، لقال: روحي فداه .

وكلمة روحي فداه ليس للاستهلاك المحلي؛ بل أن عكرمة رضي الله عنه قد قاتل المرتدين، بل وأخطأ من شدة الاقتحام خلف المرتدين، يعني أنه قاتل الكفرة كوالده انتصاراً لمحمد الذي هو عدو والده، أ رأيت إلى الانتصار العظيم، أ رأيت من هو الأبتر؟!....

وكأن الله تعالى يقول لأبي جهل: خذ عكرمة أطعمه واكسه وغذه ولاعبه. أزل عنه الفضلات، فإذا كبر فأعطه لمحمد لأنه أصبح الآن ابناً لمحمد وليس لك، كما أن ابن أبي لهب الثاني قد أسلم ﷺ ..فمن هو الأبتر يا ناس؟! ومن هو الذي أعطاه الله الكوثر؟

---

[4]) فقد ورد في تفسير ابن كثير ج: 4 ص: 252"وقد ذكره الحافظ ابن عساكر بسنده إلى هبار بن الأسود رضي الله عنه: أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة: أني كافر بالذي دنا فتدلى، فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: سيرسل الله عليه كلبا من كلابه. قال هبار: فكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد قال: فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم رءوس القوم واحدا واحدا، حتى تخطى إلى عتبة فاقتطع رأسه من بينهم. وذكره ابن إسحاق وغيره في السيرة: أن ذلك كان بأرض الزرقاء، وقيل بالسراة، وأنه خاف ليلتئذ، وأنهم جعلوه بينهم وناموا من حوله، فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطاهم إليه فضغم رأسه؛ لعنه الله.

رابعا: والى الآن كم هم الذين يحبون محمداً(صلى الله عليه وسلم) ويسمون أبناءهم على اسمه ويموتون تحت رايته ويحفظون أحاديثه ويقتدون بسيرته، لقد أجريت إحصائية عالمية فوجدوا أن أكثر اسم في العالم هو محمد، وجاء ذلك البريطاني ليؤلف كتباً يضع فيه (أعظم مائة رجل في العالم) فكان أولهم هو محمد صلى الله عليه وسلم، رغم أن الكاتب نصراني، بينما أيها الإخوة من يحب منكم أن يسمي نفسه أو ابنه أبا جهل أو أبا لهب؟ لا أحد.

خامساً: يطلع الفجر فيؤذن في الصين ثم في إندونيسيا ثم في الباكستان ثم في إيران ثم في العراق ثم الأردن ثم في فلسطين ثم مصر ثم ليبيا ثم تونس ثم الجزائر ثم فرنسا ثم أمريكا كلها تقول في آذانها (أشهد أن محمداً رسول الله) وأُثبتت دراسة أن كل دقيقة في العالم يوجد فيها أذان يذكر فيه محمد ﷺ، فمن هو الزعيم في العالم في الماضي أو الحاضر ينادي باسمه (خاصة بعد موته) إلى يوم الدين غير محمد؟ أليس معنى هذا أن الله قد أعطاه الكوثر؟

سادسا: وكل الذين يذهبون للحج ويطوفون بالكعبة على دين محمد، إنما هم في الحقيقة يدوسون بإقدامهم على بطن أبي جهل وقلبه، أليس أبو جهل هو الأبتر؟

سابعاً: فإن الله تعالى لم يقل إنا أعطيناك الكوثر وفوراً إن شانئك هو الأبتر؛ لأنه سبحانه لو قال ذلك لقامت فوراً دولة الإسلام، ولكن ذلك سيخل بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم﴾(الرعد:11)(راجع إن شئت كتابي 5 مقالات حتى يكون للجهاد معناه/فصل الجهاد إرادة)

والقرآن ليس فيه خلل، لذلك قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فبمقدار ما تصلي لله وتنحر لله وتطبق أمر الله، فإن الله سيعطيك من الكوثر (الخير الكثير) في الدنيا والآخرة، عاجلاً وآجلاً، وبمقدار إتباعك للحق نجعل شانئك مبغضك هو الأبتر.

ثامناً": وحتى تكون هذه السورة معجزة لكل الناس حتى قيام الساعة، فقد جعلت قانونا يطبق إلى الأبد: ولذلك: فإن هذا ليس لك لوحدك يا محمد، بل و لأمتك من بعدك، فطالما أن أمتك يا محمد تصلي لله وحده ونتحر لله وحده؛ فإنها ستبقى عزيزة شامخة الرأس مهيبة الجانب، أما إذا تغيروا فإن الله سيغير ما بهم، فإذا نظرنا إلى كم هو عدد المصلين حقيقة ممن يسمون في شهادة الميلاد (مسلمين) لعرفنا سر ما حل بنا من ذل وهوان .

تاسعاً: فإن الآية على اختصارها قد ذكرت الإسلام كله، فكتب الفقه تبدأ بالصلاة ومقدماتها في الوضوء وتنتهي بالنحر والقتال وأحكامه فهي ذكرت أول أحكام الإسلام وآخره، ولا خير في صلاة لا جهاد معها، أو قتال لا صلاة فيه، ولن نتحدث عن الكوثر نهر الجنة ولا الشفاعة العظمى ولا المقام المحمود اختصاراً للجواب.

س4: هل يمكن مقارنة عبارة واحدة قالها القرآن مع كلمة قالتها العرب؟

ج4: جزاك الله خيراً فهذا سؤال أظنه جاء من عالم يريد أن يوضح المحاضرة وأظنك تقصد أن تقارن عبارة (القتل أنفى للقتل) مع قوله تعالى القصاص حياة في الاية 179 من سورة البقرة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

ولقد وضح بعض العلماء عشرة أشياء بلاغية فاقت بهما الآية ذلك المثل العربي أذكر منها:

1- أن القتل تكرر في المثل العربي مرتين والتكرار في العربية غير محمود.

2- أن المثل العربي قال القتل وكان يعني بذلك القصاص، ولكن القصاص ليس عدواناً كما يُظن بل هو إقامة حد، كما قالت الآية.

3- أن الآية جاءت بكلمة " حياة " وما في هذه الكلمة من حيوية، فكل إنسان يكون مطمئناً على نفسه إذا هو لم يحاول الاعتداء على الآخرين .

4- القصاص حياة: أشد اختصاراً من القتل أنفى للقتل، لأنها كلمتان وهذه ثلاثة.

5- المثل العربي القتل أنفى فيه التباس بين القتل والقتل ولكن كلمة القصاص فيها وضوح.

6- القصاص أشمل من القتل والجرح والضرب.

7- وبقيت هناك وجوه تراجع في كتب التفسير التي تعتني بالبلاغة واللغة.

8- أما كلمة ﴿ولكم﴾ تعني أن التشريع الإلهي جاء لمصلحتنا ولحياتنا ولسعادتنا فيجب أن لا نقف في وجه ذلك التشريع ولا أن نتحايل عليه، بينما المثل العربي لم يأت بذلك.

9- وأما كلمة في القصاص، ولم يقل القصاص أنفى للقتل إذ أن مجرد تشريع القصاص هو فائدة حتى ولو عفى صاحب الدم عن الجاني، أما المثل العربي فلم يذكر ذلك ولم يقل في القتل حياة.

س5: ما هو الإعجاز الغيبي؟ وهل هناك من مثال عليه؟

ج5: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم لا تنقضي ومن جملتها الإعجاز الغيبي، ومعناه الأخبار بوقوع شيء في المستقل ووقوعه تماماً كما أخبر وبما أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى فيكون هو سبحانه الذي اخبر به محمداً بذلك، فحصل المطلوب، وهو أن (محمداً صلى الله عليه وسلم) رسول من عند الله . ومثاله سورة الكوثر

الذي تحدنا عنه أو أيضا قوله تعالى(الم *غُلِبَتِ الرُّومُ *فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) (الروم1-3)

1-فمن المعروف أن دولة كبرى من الصعب جدا أن تتحول من مغلوبة إلى غالبة وكذلك الدولة المقابلة.

2 - ثم أنه ما من أحد يدخل معركة أو يتفرج عليها يستطيع أن يجزم بالنتيجة، إذ لو عرف أنه المهزوم لما دخلها، وإذا عرف أنه المنتصر فسيعجل بها، ومع ذلك فقد جاءت الآية الكريمة تحدد جازمة من المنتصر ومن المهزوم، بحيث لو لم يحصل ذلك لما بقي خلف محمد صلى الله عليه وسلم أحد من أتباعه، فمن الذي يستطيع أن يخاطر بذلك إن لم يكن ذلك كلام الله تعالى، علام الغيوب.

3- ثم أن الآية حددت الزمن فهو لن يتجاوز عشر سنين إذ أن بضع (هو من 3-9) والآية تجزم أيضاً بأنه لن تكون هناك حرب مدة ثلاث سنوات ويقع كل هذا حسب الآية تماماً، أليست هذه الآية نوعا من أنواع الإعجاز ووجها من وجوهه؟!

ثانيا: ثم تأتي سورة (تبت يدا أبي لهب) فتخبر أنه سيموت كافراً، ولو كان يستطع غير ذلك لقال أنت يا محمد تقول من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، و ها أنا أقولها فكيف تحكم عليّ بالنار، ولكنه لم يستطيع أن يقولها ولو نفاقاً، فهل بعد ذلك من إعجاز في هذا المجال؟!!

أما الإعجاز- الأعجاز الغيبي-عن أشراط الساعة فحدّث ولا حرج، وأدلك على كتاب أشراط الساعة للإمام البرزنجي مثلاً لترى العجب العجاب في الإخبار عن أكثر من سبعين علامة نراها أمامنا صباح مساء مما يدل على إعجاز آخر في السنة المشرفة، يمكن أن نتطرق له في محاضرة قادمة بإذن الله تعالى.(في خمس مقالات حول القمر: أشراط الساعة)

س ج6 نعم ليس القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة لسيدنا محمد(ﷺ) بل إن له معجزات كثيرة جدا واعتنت كتب السيَر بها:

منها انشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وحنين الجذع، والنصر بالرعب، وتكثير الطعام القليل، واستجابة الدعاء، ورد العين المقلوعة، وجبر الرجل المكسورة...الخ

والحمد لله رب العالمين .

مشاركة(2):حين نرى أن واحدا من أتباع محمد ﷺ يترك وطنه ويخرج مجاهدا في سبيل الله ولا يكون معه في خيمته سوى جلد خروف و إبريق للوضوء وصحن

يأكل به، وليس عنده حرس رغم أنه قائد الجيش الذي دوخ الـــروم، وبعـــد موتـــه بقرون سخر الله له من يبني عند قبره مسجدا فخما فيـــه أكثـــر مـــن عشـــر خـــدم وعشرين حارس. فهذا نوع من الكوثر في الدنيا لأتباعه.

شكرا والجامع في نظري أفضل من القصر بعدة أشياء:

1-**فالقصر مقصور على بعض الأشخاص ولكن الجامع يجمع الناس.**

2-**غالبا ما يكون القصر مكان غفلة بينما الجامع مكان ذكر الله تعالى.**

3-**القصر لا يستغني عن مرحاض وعن شباك ولكن القبر يكون روضة من ريـــاض الجنة والمسجد طريق لتلك الروضة.**

فجامع أبي عبيدة بعد وفاته هو أفضل له من قصر في حياته.